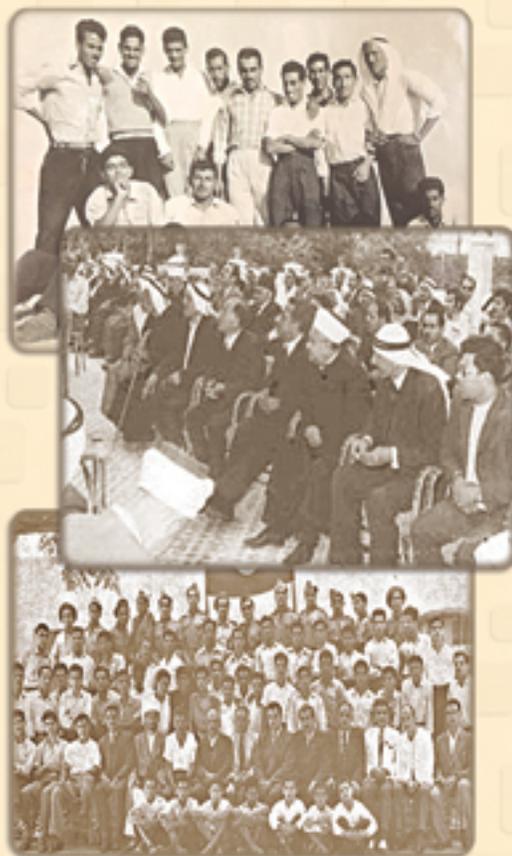


الإخوان المسلمون الفلسطينيون

التنظيم الفلسطيني - قطاع غزة

1967-1949



تأليف

أ. د. محسن محمد صالح



الفصل الأول

**الإخوان المسلمون وتطورات القضية
الفلسطينية حتى 1967**

الإخوان المسلمون وتطورات القضية الفلسطينية حتى 1967

مقدمة:

يُعدُّ هذا الفصل فصلاً تمهيدياً لموضوع الدراسة. وهو يحاول أن يضع أرضية مناسبة من خلال إعطاء فكرة مختصرة عن القضية الفلسطينية في الفترة 1918-1948، وعن حرب 1948 ونتائجها وخصوصاً حالة التشتت الفلسطيني، ومصير الضفة الغربية وقطاع غزة. كما يستعرض الفصل موقف البلاد العربية من قضية فلسطين في الفترة 1948-1967، وما صاحب تلك الفترة من عمل وطني فلسطيني. ويتناول من جهة أخرى، موقف جماعة الإخوان المسلمين من قضية فلسطين، ونشأة الإخوان المسلمين الفلسطينيين، ودور الإخوان المسلمين في حرب فلسطين 1947-1948.

أولاً: القضية الفلسطينية 1918-1948:

تبنت بريطانيا المشروع الصهيوني، فأصدرت في 1917/11/2 وعد بلفور Balfour Declaration بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وتمكنت من إتمام احتلالها لفلسطين في أيلول/ سبتمبر 1918. وفتحت خلال فترة احتلالها 1918-1948 الأبواب للهجرة اليهودية، فتضاعف عدد اليهود من 55 ألفاً سنة 1918 إلى 646 ألفاً سنة 1948 (أي من 8% إلى 31.7% من السكان)، كما دعت تملك الأراضي فتزايدت ملكية اليهود للأرض من نحو 0.5 مليون دونم (2% من الأرض) (1 دونم = 1,000 م²) إلى نحو 1.6 مليون دونم (6% من أرض فلسطين)، تسربت إلى اليهود في الغالب من الحكم البريطاني أو من أيدٍ إقطاعية غير فلسطينية، وتمكن شعب فلسطين، على الرغم من قسوة الظروف والمعاناة، من الصمود في أرضه طيلة ثلاثين عاماً محتفظاً بأغلبية السكان (68.3%) وبمعظم الأرض (94%). وقد تمكن اليهود الصهاينة تحت حماية القوات البريطانية من

بناء مؤسساتهم الاقتصادية والسياسية والتعليمية والعسكرية والاجتماعية، وفي سنة 1948 كانوا قد أسسوا 292 مستعمرة، وكونوا قوات عسكرية من منظمات الهاجاناه Haganah والأرجون Irgun وشتينر Stern يزيد عددها عن سبعين ألف مقاتل، واستعدوا لإعلان دولتهم.¹

على الرغم من أن المؤامرة على فلسطين كانت أكبر بكثير من إمكانات الشعب الفلسطيني، إلا أن شعب فلسطين رفض الاحتلال البريطاني والمشروع الصهيوني، وطالب بالاستقلال. وقامت التيارات الوطنية والإسلامية بزعامة موسى كاظم والحاج أمين الحسيني ورفاقهم بالتعبئة الشعبية والتحركات السياسية والثورات العارمة، فكانت ثورات القدس 1920، ويافا 1921، والبراق 1929، وتشرين الأول/أكتوبر 1933، وحركة الجهادية بقيادة الشيخ عز الدين القسام، ومنظمة الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني. وتحت ضغط الثورة الكبرى 1936-1939 اضطرت بريطانيا في كتابها الأبيض (أيار/مايو 1939) أن تتعهد بقيام الدولة الفلسطينية خلال عشرة أعوام، وبأن توقف بيع الأرض لليهود إلا في حدود ضيقة، وبأن توقف الهجرة اليهودية بعد خمسة أعوام. ولكنها تنكرت لالتزاماتها في تصريح أصدره وزير خارجيتها إرنست بيفن Ernest Bevin في 14/11/1945، وعادت الحياة للمشروع الصهيوني من جديد برعاية أمريكية.

رفعت بريطانيا سنة 1947 قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة، بحجة رغبتها في إنهاء انتدابها على فلسطين. وبعد الكثير من المداولات والضغط الغربية وخصوصاً الأمريكية، أصدرت الأمم المتحدة في 1947/11/29 قرار تقسيم فلسطين (قرار رقم 181) معطياً 54.7% للدولة اليهودية (14,400 كم²) و44.8% للدولة العربية (11,780 كم²)، بينما أبقت نحو 0.5% لمنطقة القدس لتوضع تحت إدارة دولية. وقرارات الجمعية العامة General Assembly of the United Nations ليست قرارات ملزمة حتى ضمن مواثيق الأمم المتحدة نفسها.

¹ حول فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين، انظر: عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط 9 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985)؛ ومحسن محمد صالح، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012)، ص 41-68.

ثانياً: حرب 1948 ونتائجها:

تمثل هذه الحرب أحد أكبر مآسي التاريخ الفلسطيني والعربي والإسلامي الحديث والمعاصر. لقد كان ميزان القوة العسكرية العدديّة طوال الحرب لصالح الكيان الصهيوني المدعوم من القوى الغربية، والذي كان أكثر عدداً وأفضل انضباطاً وتدريباً وتسليحاً من مجموع الجيوش العربية والمتطوعين. وقاوم الفلسطينيون بضراوة وبكل ما يملكون، وهناك في كل مدينة وقرية قصص ثبات وبطولة وتضحية، وحكايات مؤلمة من انعدام السلاح أو فسادة أو نفاذ الذخيرة، أو سوء إدارة المعركة من الجيوش العربية وضعف التنسيق بينها وقلة خبرتها، والتي كان عددٌ منها ما يزال واقعاً تحت النفوذ الاستعماري....

أعلن الصهاينة دولتهم "إسرائيل" في مساء 14/5/1948، واستولوا على نحو 77% من أرض فلسطين (20,770 كم²)، وشردوا بالقوة 800 ألف فلسطيني خارج المنطقة التي أقاموا عليها كيانهم (كان المجموع الكلي للفلسطينيين في نهاية 1948 نحو 1.4 مليون نسمة).² وقد وافقت الأمم المتحدة على دخول الكيان الصهيوني "إسرائيل" في عضويتها، بشرط السماح بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم، وهو ما لم يفعله الكيان الصهيوني مطلقاً. ودخلت الدول العربية في اتفاقيات هدنة مع الكيان الصهيوني، فوَقَّعت مصر اتفاقية الهدنة في 24/2/1949، تليها لبنان في 23/3/1949، ثم الأردن في 3/4/1949، ثم سورية في 20/7/1949.

لقد كان حجم الدمار هائلاً وكانت درجة تمزيق النسيج الاجتماعي والاقتصادي للفلسطينيين في الأرض المحتلة تفوق التصور، فحسب دراسة متأنية لوليد الخالدي، وضع قائمة دقيقة بأسماء 418 قرية تم تهجير سكانها سنة 1948، وقد تابع سلمان أبو ستة قائمة القرى هذه وأضاف عليها مجموعة أخرى من القرى ومراكز استقرار البدو خصوصاً في بئر السبع، ليصبح العدد الكلي للقائمة 531 قرية ومركزاً.³

² حول حرب 1948 ومأساة سقوط فلسطين، انظر: عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947-1951 (صيда - بيروت: المكتبة العصرية، 1954).

³ Salman Abu Sitta, *Palestinian Right to Return* (London: Palestinian Return Centre, 1999), pp. 16-24.

ثالثاً: التشتت الفلسطيني:

بعد كارثة 1948، وجد الشعب الفلسطيني نفسه تحت ظروف وأوضاع وأنظمة مختلفة؛ إذ ظل في فلسطين المحتلة سنة 1948 أو ما أصبح يُعرف بـ"إسرائيل" نحو 160 ألف فلسطيني، أما قطاع غزة الذي كان يسكنه 80 ألفاً فقد التجأ إليه 200 ألف لاجئ، وال الضفة الغربية التي كان يسكنها 425 ألفاً انضم إليها 360 ألف لاجئ، واضطر 300 ألف لمغادرة فلسطين تماماً، انتقل 110 آلاف منهم إلى شرقي الأردن، و100 ألف إلى لبنان، و82 ألفاً إلى سورية، و12 ألفاً إلى العراق ومصر وليبيا والسعودية وبريطانيا.⁴ تم إنشاء 21 مخيماً للاجئين في الضفة الغربية، و8 مخيمات في قطاع غزة. وشكل اللاجئون نحو 69% من سكان القطاع، غير أن نسبتهم انخفضت بسبب هجرة الكثيرين للخارج، حيث بلغت سنة 1967 حوالي 59%.⁵

ولم تكن الموارد الاقتصادية في الضفة والقطاع تتحمل هذا العدد المفاجئ من الزيادة السكانية، كما لم تكن الأوضاع الاقتصادية للأردن ومصر تمكنهما من توفير بنية تحتية مناسبة تستطيع استيعاب طاقات الناس العاملة وإمكاناتهم. وقد عاش مئات الألوف من اللاجئين أوضاعاً بائسة، ومعاناة لا توصف، وسكنوا الخيام سنوات عديدة وسكن بعضهم الكهوف والمغائر، يجمع العشرة في الخيمة الواحدة حرارة الصيف وزمهرير الشتاء، فأمطاره وأحواله وآلام التشرد وفقدان أسباب العمل والمعيشة.

ومع ذلك فقد رفض اللاجئون بعزة وإصرار خطط التوطين والاستقرار كافة، وظلت قلوبهم، وما زالت، معلقة بعودتهم الكريمة إلى أرضهم المغتصبة. وعلى الرغم من قسوة الظروف، فقد أظهر الفلسطينيون رغبة هائلة في التعلم والارتقاء الأكاديمي، وخلال سنوات كانت نسبة المتعلمين الفلسطينيين قد أصبحت هي الأفضل في الوطن العربي وتضاهي مستويات التعليم في البلدان الأوروبية.

⁴ أسعد عبد الرحمن، منظمة التحرير الفلسطينية (نيقوسيا: مركز الأبحاث، 1985)، ص 25.

⁵ انظر: أحمد المرعشلي وآخرون (معدون)، الموسوعة الفلسطينية (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ج 2، ص 559-560؛ وجورج قصيفي، الرهان الديمغرافي في فلسطين (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1990)، ص 13.

وتحت ضغط هذه الأوضاع، وحاجة بلدان الخليج للكوادر المتعلمة والأيدي العاملة مع ظهور النفط، والانتعاش الاقتصادي فيها، فقد انتقل الكثير من الفلسطينيين إلى هناك ليحسنوا من أوضاعهم ويسهموا في نمو تلك البلدان، دون أن ينسيهم ذلك العمل من أجل قضيتهم حيثما حطت رحالهم. وفي سنة 1966 (قبيل حرب 1967)، كان عدد الفلسطينيين في الضفة 830 ألفاً، وفي القطاع 455 ألفاً.⁶

رابعاً: حكومة عموم فلسطين ومصير الضفة والقطاع:

بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية أعاد الفلسطينيون ترتيب أنفسهم، وشكّلوا "الهيئة العربية العليا"⁷ برئاسة الحاج أمين الحسيني في 11/6/1946. وعندما دخلت الجيوش العربية فلسطين في أيار/ مايو 1948، منعت الحاج أمين الحسيني من دخول فلسطين أو الوجود في الأماكن التي سيطرت عليها، ولم تمكن الأنظمة العربية الحاج أمين ورفاقه من تولي تنظيم وقيادة الشعب الفلسطيني في المناطق المحررة، بل باشرت بنفسها نزع أسلحة الفلسطينيين، وخصوصاً جيش الجهاد المقدس الذي نظّمته الهيئة العربية العليا.

وكانت الهيئة العربية العليا قد قررت إنشاء حكومة فلسطينية للمء الفراغ الناتج عن انسحاب بريطانيا من فلسطين، وسعت لإقناع الحكومات العربية بذلك خلال أشهر آذار/ مارس، ونيسان/ أبريل والنصف الأول من أيار/ مايو 1948، ولكن دون جدوى. وفي 23/9/1948 قامت الهيئة بإعلان "حكومة عموم فلسطين" في غزة برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي. وقد أقرت الحكومات العربية (ما عدا الأردن) ذلك واعترفت بالحكومة. وتأكيداً لشرعيتها، قامت حكومة عموم فلسطين والهيئة العربية العليا بالدعوة إلى مجلس وطني فلسطيني في غزة في 1/10/1948 برئاسة الحاج أمين. حيث أعلن المجلس استقلال فلسطين، وإقامة دولة حرة ديموقراطية

⁶ انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 2، ص 559.

⁷ حول الهيئة العربية العليا، انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 4، ص 556-561.

ذات سيادة، بحدودها الدولية المتعارف عليها في أثناء الاحتلال البريطاني، ومنح المجلس الثقة لحكومة عموم فلسطين.⁸

وقد أكملت الحكومة الأردنية سيطرتها الدستورية على الضفة الغربية، وهي معظم ما تبقى من فلسطين (5,878 كم² أي 21.77% من مساحة فلسطين)، بعد أن انعقد بتشجيعها مؤتمر أريحا في 1/12/1948، والذي حضره وجهاء فلسطينيون مؤيدون للملك عبد الله بن الحسين، حيث بايعوه ملكاً على فلسطين. ومكّنت سيطرة القوات الأردنية على الضفة الغربية من منع حكومة عموم فلسطين من ممارسة صلاحياتها، وقامت الحكومة الأردنية بعدد من إجراءات الوحدة خلال سنة 1949، وفي كانون الأول/ ديسمبر 1949 صدرت إرادة ملكية بأن كل المقيمين في الضفتين قد حازوا الجنسية الأردنية، كما صدرت إرادة ملكية أخرى بإجراء انتخابات في 20/4/1950 مناصفة بين الضفتين. وفي 24/4/1950 التأم أول مجلس نيابي تمثيلي لكلا الضفتين، حيث وافق على الوحدة الاندماجية بين الضفة الغربية وشرقي الأردن.⁹

وعندما حاولت حكومة عموم فلسطين ممارسة صلاحياتها في قطاع غزة (363 كم² أي 1.33% من مساحة فلسطين)، تدخلت السلطات المصرية، فنقلت الحاج أمين الحسيني بالقوة إلى القاهرة، وأجبرت عدداً من أعضاء المجلس الوطني على مغادرة غزة إلى القاهرة. ثم ما لبثت أن أكرهت رئيس وأعضاء حكومة عموم فلسطين على الانتقال إلى مصر. وبقيت حكومة عموم فلسطين قائمة في مصر دون أن تستطيع القيام بأي من الأعمال المنوطة بها، لا سيما في الحقل السياسي. وفرضت السلطات المصرية حصاراً على دار الهيئة العربية العليا في القاهرة، ووضعت الحاج أمين تحت رقابة مُشدّدة، حرمته من حرية العمل والتنقل. ورفضت الحكومات العربية الاعتراف بالجوازات التي أصدرتها حكومة عموم فلسطين، كما تم حلّ وإنهاء قوات الجهاد المقدس التابعة للهيئة العربية العليا،

⁸ حسين أبو النمل، قطاع غزة 1948-1967: تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية (بيروت: مركز الأبحاث - م. ت. ف، 1979)، ص 21-23.

⁹ انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 4، ص 377-379؛ وأسعد عبد الرحمن، منظمة التحرير الفلسطينية، ص 34.

وقامت السلطات المصرية بتعيين حاكم إداري على "المناطق الخاضعة لرقابة القوات المصرية"، أي قطاع غزة. وهكذا، عانت الهيئة العربية العليا وحكومة عموم فلسطين من الحصار والتجاهل والتضييق. حتى انتهى أي تأثير عملي لهما على الواقع الفلسطيني.¹⁰

مع الزمن، لم تعد حكومة عموم فلسطين غير هيئة شكلية ظلت تبعث بممثلين عنها لحضور اجتماعات الجامعة العربية. أما الحاج أمين والهيئة العربية العليا فقد عانيا من استمرار الحصار والتجاهل، واضطر الحاج أمين لمغادرة القاهرة سنة 1958 إلى لبنان، بسبب الضغط والتضييق من عبد الناصر عليه. وعملياً، فقد انتهى أي تأثير للهيئة العربية العليا بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف) سنة 1964، وظهور العمل الفدائي الفلسطيني، وبوفاة الحاج أمين الحسيني نفسه في 1974/7/4.¹¹

خامساً: البلاد العربية وفلسطين 1948-1967:

في ظروف "معجونة" بمشاعر المرارة والمهانة، والرغبة في المقاومة والتحرير والعودة، وجد شعب فلسطين نفسه تحت حكم أنظمة مختلفة، تتفاوت في إعطائه حقوقه المدنية والسياسية، أو في إعطائه فرصة العمل المنظم والمقاوم. كما وجدت القيادات السياسية الفلسطينية نفسها تحت وطأة الأنظمة العربية التي تبنت مشروع التحرير، تحت شعارات "قومية المعركة". غير أن الأنظمة العربية كانت من الناحية العملية منشغلة بضمان أمنها واستقرارها، وتجنبت المواجهة مع "إسرائيل"، وتبنت المقاومة لأسباب تكتيكية مرحلية، وليس ضمن خطط استراتيجية شاملة.

وعلق الفلسطينيون آمالهم بشكل عام في مرحلة 1948-1967 على الأنظمة العربية، وخصوصاً مصر بزعامة جمال عبد الناصر، وكان شعار المرحلة البراق

¹⁰ انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 2، ص 342-344، وج 4، ص 377-379، و 556-561؛ وأبو النمل، قطاع غزة، ص 25.

¹¹ حول حكومة عموم فلسطين، انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 2، ص 342-344.

”الوحدة طريق التحرير“. واتخذت الميول السياسية الفلسطينية طابع الانتماء للقيادات والأحزاب القومية واليسارية. وشهدت هذه الفترة مداً قومياً ويسارياً، وانحساراً للتيار الإسلامي (منذ منتصف الخمسينيات)، خصوصاً بعد الحملة الشرسة المنظمة التي قادها عبد الناصر وأنصاره ضدّ هذا التيار.

وعلى أي حال، فإن حالة العداء الرسمي ضدّ الكيان الصهيوني استمرت طوال هذه المرحلة، لكن الخط البياني للأنظمة العربية اتجه عملياً نحو ترسيخ الواقع، وليس نحو تغييره، أو بعبارة أخرى اتجه نحو ”التسوية“ وليس نحو ”التحرير“ لأسباب ذاتية وموضوعية، جعلتهم يستشعرون حالة عجز حقيقي، فانشغلوا بدغدغة عواطف الجماهير الواسعة، التي كانت تترقب ساعة المعركة، بينما كان الكيان الصهيوني ”الغضّ“ يشدد ويزداد قوة ورسوخاً.

سادساً: العمل الوطني الفلسطيني 1948-1967:

في المرحلة التي نحن بصدها، نلاحظ أن السلوك الشعبي الفلسطيني اتسم بمحاولة استيعاب الصدمة، والتكيف مع الواقع الجديد، والتركيز على التعليم وسبل الاعتماد على النفس، وتزايد الانتماء إلى التنظيمات والأحزاب ذات الطبيعة القومية (الناصريون، والبعث،...) والشيوعية واليسارية (الحزب الشيوعي، والقوميون العرب،...)، والإسلامية (في النصف الأول من المرحلة: الإخوان المسلمون، وحزب التحرير،...). وفي هذه المرحلة، وخصوصاً نصفها الثاني، عادت الهوية الوطنية الفلسطينية للبروز (نشأة حركة فتح، ومنظمة التحرير الفلسطينية)، بعد أن انزوت كثيراً في ظل المد القومي واليساري.

تعاملت البيئة الدولية مع القضية الفلسطينية باعتبارها قضية لاجئين، وطوت صفحة الدولة الفلسطينية، ووفرت لـ ”إسرائيل“ إمكانات البقاء والتجذر، ولم تكن موازين القوى تسمح للفلسطينيين ولا للعرب بتشكيل تهديد حقيقي وجاد للكيان الإسرائيلي.

وفي إطار التعامل مع قضية فلسطين كقضية لاجئين، أنشئت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)

United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East (UNRWA) بناء على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 302 الصادر في 1949/12/8.¹² وأخذ يتضح مع الزمن أن مزاج القوى الكبرى العام يتجه نحو إيجاد حلول اقتصادية لمصاعب الحياة التي يواجهها اللاجئون، وتوطينهم حيثما استقروا أو في أماكن أخرى، وليس إعادتهم إلى أرضهم أو إعطاءهم حقوقهم السياسية في تقرير المصير والاستقلال. وتعاونت مصر مع وكالة الأونروا خلال الفترة 1953-1955 في تنفيذ مشروع لتوطين لاجئي قطاع غزة في شمال غرب سيناء، غير أنه لقي معارضة شاملة وعنيفة من فلسطينيي القطاع، أدت إلى إسقاطه.¹³

كانت فلسطين ممثلة لدى جامعة الدول العربية منذ إنشائها سنة 1945. فقد مثلها في البداية موسى العلمي، ثم تولى ذلك أحمد حلمي عبد الباقي إلى حين وفاته سنة 1963. وبينما علّق الفلسطينيون ثقتهم بالأنظمة العربية في مشروع التحرير، وخصوصاً نظام الحكم في مصر بقيادة عبد الناصر، إلا أنّهم مع الزمن أخذ يساورهم القلق في مدى جدية الأنظمة العربية، وفي مدى قدرتها على تنفيذ وعودها؛ فأخذت الساحة الفلسطينية تشهد مبادرات تنحو منحى وطنياً؛ مؤكدةً على الهوية الفلسطينية وساعيةً لإبراز الكيانية الفلسطينية، في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، وأخذت تظهر الحركات والمنظمات الفدائية والسياسية التي تسعى لتحرير فلسطين. وكان نجاح الثورة الجزائرية سنة 1962 عاملاً مُحفِّزاً ونموذجاً دفع الكثير من الفلسطينيين للاعتقاد بإمكانية أن يتولى أبناء القطر الواحد عملية المقاومة والتحرير، في الوقت الذي يتلقون الدعم والإسناد من أشقائهم العرب. كما كان فشل تجربة الوحدة المصرية - السورية (1958-1961) عاملاً آخر في دفع الفلسطينيين إلى عدم انتظار تحقق الوحدة العربية، وعدم التعويل عليها، بالنظر إلى واقع الأنظمة العربية وخلافاتها. وقد شهدت الفترة 1962-1964

¹² انظر نصّ القرار في:

Zafrul-Islam Khan, *Palestine Documents* (New Delhi: Pharos Media, 1998), pp. 288-289.

¹³ انظر: أبو النمل، قطاع غزة، ص 84-96.

مرحلة تكريس الكيانية الفلسطينية، كما شهدت شبه انفصال بين العمل الناصري والعمل الفلسطيني.¹⁴

كانت الأنظمة العربية تدرك حقيقة عجزها في مواجهة "إسرائيل"، وقد خشيت هذه الأنظمة، وخصوصاً مصر، من أن يفلت زمام القضية الفلسطينية من يدها؛ فبادرت إلى محاولة إيجاد شكل مؤسسي تمثيلي للفلسطينيين يستوعبهم ويستجيب لبعض تطلعاتهم في التعبير عن هويتهم وكيانيتهم، ويُبقي الأمور تحت السيطرة. ولعل بعض الأنظمة استخدمت رغبة الفلسطينيين وتطلعاتهم في زيادة شعبيته، وكنوع من الابتزاز والإحراج السياسي لأنظمة أخرى تخاصمها سياسياً.

عندما توفي أحمد حلمي عبد الباقي، لم تعبأ الجامعة العربية، في دورتها الأربعين سنة 1963، برأي الهيئة العربية العليا ولا حكومة عموم فلسطين في تعيين مندوب فلسطين لدى الجامعة، وعينت بنفسها أحمد الشقيري الذي حظي بدعم عبد الناصر. وعندما انعقد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة في 1964/1/13، أصدر قراراً بإنشاء كيان فلسطيني يُعبر عن إرادة شعب فلسطين، ويقيم هيئة تطالب بحقوقه، لتمكينه من تحرير أرضه وتقرير مصيره.

وقام أحمد الشقيري، مستفيداً من الدعم المصري، ومن حماسة الفلسطينيين لإنشاء كيان خاص بهم، بعمل ثلاثين جولة في مناطق التجمعات الفلسطينية. وقام خلال الجولة بوضع "الميثاق القومي الفلسطيني" والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وأجرى ترتيبات عقد مؤتمر فلسطيني عام في القدس، والذي انعقد في 1964/6/2-5/28، وقام الملك حسين بافتتاحه. وسمي هذا المجلس "المجلس الوطني الأول"، وهو الذي أعلن إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية، وانتخب أحمد الشقيري رئيساً لها، وأقر الميثاق القومي الفلسطيني، كما قرر إعداد الشعب الفلسطيني عسكرياً للقيام بدوره في تحرير وطنه، ووافق على إنشاء الصندوق القومي الفلسطيني.¹⁵

¹⁴ المرجع نفسه، ص 198.

¹⁵ حول نشأة منظمة التحرير وتطورها حتى سنة 1983، انظر: أسعد عبد الرحمن، منظمة التحرير الفلسطينية. وانظر أيضاً:

Helena Cobban, *The Palestinian Liberation Organisation: People, Power and Politics* (US: Cambridge University Press, 1988).

سابعاً: الإخوان المسلمون وفلسطين:

أسس الشيخ حسن البنا جماعة "الإخوان المسلمين" في آذار/ مارس 1928 في مدينة الإسماعيلية بمصر. وقد هدفت هذه الجماعة إلى إحياء معاني الإسلام الصحيحة في النفوس، والالتزام بتعاليمه عقيدة وسلوكاً ومنهج حياة، وبناء الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والدولة المسلمة، وتخليص البلاد الإسلامية من الاستعمار بكافة أشكاله، وإقامة الخلافة الإسلامية الواحدة على بلاد المسلمين، والتقدم لسيادة وأستاذية العالم.¹⁶ واعتبرت الجماعة نفسها، وفق المفهوم الشامل للإسلام، "دعوة سلفية... وطريقة سنية... وحقيقة صوفية... وهيئة سياسية... وجماعة رياضية... ورابطة علمية ثقافية... وشركة اقتصادية... وفكرة اجتماعية".¹⁷ وبالتالي غطى طرحها جوانب الحياة المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية... وغيرها. وهو ما جعل هذه الحركة متفاعلة مع الواقع ومع هموم المسلمين وقضاياهم. كما عبّر شعاراً: "الجهاد سبيلنا"، و"الموت في سبيل الله أسمى أمانينا" عن رغبة في تحقيق جاهزية نفسية عالية لدى الأفراد في الدفاع عن أرض المسلمين وحمايتها وتحريرها.

وقد عدَّ البنا الوطن الإسلامي وطناً واحداً وأمة الإسلام أمة واحدة. وكان من الطبيعي بناءً على هذا الفهم أن يهتم الإخوان المسلمون بقضايا المسلمين المختلفة، فيذكر الشيخ حسن البنا "إن كل أرض يقال فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله هي جزء من وطننا، له حرمة وقداسته، والإخلاص له والجهاد في سبيل خيره"، ولأن فلسطين كانت أسخن القضايا الإسلامية الحساسة في ذلك الوقت، وما تزال، فقد أولاهها الإخوان المسلمون دائماً "المقام الأوفى في عنايتهم واهتمامهم".¹⁸ ورأى البنا أن الوطنية والعروبة والإسلام هي دوائر متكاملة غير متعارضة، وأن الشخص يسعه أن يعمل بكل إخلاص لمصلحة وطنه، ويعمل في الوقت نفسه لعالمه

¹⁶ حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، ط 4 (بيروت: المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر، 2004)، ص 177-178.

¹⁷ المرجع نفسه، ص 156-157.

¹⁸ كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ط 3 (الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، 1984)، ص 31.

العربي ولعالمه الإسلامي.¹⁹ وحسب البنا فإن المسلمين هم "أشدّ الناس إخلاصاً لأوطانهم...، ولكن الفارق بين المسلمين وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجردة أن أساس وطنية المسلمين العقيدة الإسلامية... وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط في أي شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تُغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا".²⁰

وعلى ذلك فإن اهتمام البنا بقضية فلسطين جاء في السياق الطبيعي لفهمه الإسلامي وفي صميم برنامج عمله، بل ومحكّ لاختبار مصداقية وجدّية فكره ودعوته. ولذلك يؤكد البنا أن "فلسطين وطنٌ لكلّ مسلم"،²¹ وأن "قضية فلسطين هي قضية كل مسلم".²² وفلسطين في فهم الإخوان:

أرض وقف إسلامي على جميع أجيال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة، لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يفرط أو يتنازل ولو عن جزء صغير جداً منها، ولذلك فهي ليست ملكاً للفلسطينيين أو العرب فحسب، بل هي ملك للمسلمين جميعاً... فعلى المسلمين في كل مكان أن يساهموا عملياً في تقديم المال والدم للدفاع عنها.²³

ولذلك رأى البنا وجوب الجهاد لتحرير فلسطين ونصرة أهلها، وذكر في رسالة بعثها إلى السفير البريطاني في القاهرة "إن الإخوان سيبدلون أرواحهم وأموالهم في سبيل بقاء كل شبر من فلسطين إسلامياً عربياً حتى يرث الله الأرض ومن عليها".²⁴

¹⁹ انظر بتوسع حول هذه الفكرة في: عثمان عبد المعز رسلان، التربية السياسية عند الإخوان المسلمين (القاهرة: دار التوزيع الإسلامية، د.ت)، ص 273-307.

²⁰ حسن البنا، مجموعة رسائل حسن البنا، ص 180.

²¹ المرجع نفسه، ص 150.

²² حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1990)، ص 304.

²³ مجلة الإخوان المسلمون، 1947/10/25، مقتبس في: عبد الفتاح محمد العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.ت)، ص 29.

²⁴ النذير، 1938/12/26، مقتبس في: عبد الفتاح محمد العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 6.

تبنى البنا طرح الحركة الوطنية الفلسطينية فيما يتعلق بمطالب الشعب الفلسطيني. فقد طالب بريطانيا بوقف الهجرة اليهودية وقفاً تاماً، وبإطلاق السجناء، وإعادة المبعدين، وتعويض المتضررين، وباعتراف بريطانيا باستقلال فلسطين استقلالاً تاماً عربية مسلمة، ويمكن أن يكون ذلك بناءً على اتفاق يضمن حقوق العرب، ويعامل فيه اليهود معاملة الأقليات.²⁵

ثامناً: نشأة الإخوان المسلمين الفلسطينيين:

بدأ اهتمام جماعة الإخوان المسلمين في مصر بفلسطين مبكراً، غير أنه برز في أثناء الثورة الكبرى 1936-1939 عبر الدعاية والإعلام والمظاهرات وجمع التبرعات. وكانت أولى الإشارات لبدء الإخوان نشر دعوتهم في فلسطين في آب/أغسطس 1935، عندما زارها عبد الرحمن الساعاتي ومحمد أسعد الحكيم، وهناك لقياً ترحيباً من الحاج أمين، حيث قاما بنشر دعوتهم.²⁶ وخلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، زادت زيارات الإخوان لفلسطين، وأخذ عدد من أبناء فلسطين ينضمون للإخوان، غير أن تشكيل فروع للإخوان رسمياً لم يتم، على ما يظهر، إلا بعد انتهاء الحرب، حيث خفت ظروف القهر والتشديد البريطاني، ونشطت الحركة السياسية الفلسطينية. ويبدو أن أول فروع الإخوان إنشاءً كان فرع غزة برئاسة الشيخ عمر صوان، وكان نائبه الشيخ عبد الله القيشاوي، بينما تولى ظافر الشوا أمانة السر؛ وكان من المؤسسين البارزين يعقوب الغلاييني وعبد الرحمن القيشاوي.²⁷ ووفق ما ذكر سعيد رمضان، أحد أبرز قيادات

²⁵ حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية ص 304، و360-361.

²⁶ المرجع نفسه، ص 198-199.

²⁷ مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني (مُعد)، الحاج ظافر خليل الشوا: مقابلات ووثائق (غزة: مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني، 2011)، ص 39.

ملاحظة: في المقابلة التي أجراها المؤلف مع يوسف عميرة في الكويت في 1985/11/6، وهو من إخوان يافا الذين لجأوا إلى غزة إثر كارثة 1948، قال إن ظافر الشوا نفسه كان رئيساً لفرع غزة، وتمّ نشر ذلك في كتاب صدر للمؤلف بعنوان: التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948، ط 2 (الكويت: مكتبة الفلاح، 1988)، وعنه أخذ باحثون هذه المعلومة التي صححها ظافر الشوا نفسه فيما بعد.

الإخوان المصريين، الذين نشروا دعوة الإخوان في فلسطين، فقد قام بإنشاء فروع للإخوان في شهري تشرين الأول/أكتوبر وتشرين الثاني/نوفمبر 1945 في القدس والخليل وغزة وحيفا ويافا؛ كما تمكن في الفترة نفسها من إنشاء مجموعات شكّلت أنوية لفروع الإخوان في نابلس وبئر السبع ورام الله واللد وأريحا.²⁸ وتتابع إنشاء الفروع في قلقيلية، وطولكرم، والمجدل، وسلواد، حتى زادت الفروع عن عشرين فرعاً.²⁹

وقد نشط الإخوان المسلمون في فلسطين بين فترة الإنشاء (أواخر 1945) وبين قرار التقسيم (1947/11/29) في نشر دعوتهم وتأسيس شعبهم وفروعهم، وافتتاح المكتبات والأندية وإلقاء المحاضرات؛³⁰ وفي مجالات الدعوة والتربية والتوعية الإسلامية، والتعريف بالخطر الصهيوني، على فلسطين، والتعبئة للجهاد. وأشارت التقديرات إلى أن إجمالي عدد الإخوان في فلسطين قد بلغ في شباط/فبراير 1946 نحو 15 ألفاً وفي سنة 1947 نحو 20 ألفاً.³¹

وباعتراف الرواية الإسرائيلية الرسمية لحرب فلسطين 1947-1948 فقد نشط الإخوان بشكل كبير، ودعوا العرب إلى رفع راية "التمرد" (ضد اليهود الصهاينة والإنجليز)، حتى إن المؤسسات القومية اليهودية احتجت واشتكت عليهم للسلطات البريطانية.³² وقد أنشأ الإخوان فرقة للكشافة والجوالة كانت من أفضل الفرق في فلسطين، وكان من أبرزها فرقة جوالة يافا التي كان من قادتها يوسف عميرة.³³

Abd al-Fattah M. El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestine Question 1928-1947*²⁸ (London, New York: Tauris Academic Studies, 1998), p. 162.

²⁹ حول نشأة جماعة الإخوان في فلسطين، انظر: محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين**، ص 438-445.

³⁰ بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981)، ص 405.

El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestine Question*, p. 155.³¹

³² أحمد خليفة (مترجم)، **حرب فلسطين 1947-1948 (الرواية الإسرائيلية الرسمية)** (قبرص: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984)، ص 14.

³³ يوسف عميرة، مقابلة مع المؤلف، الكويت، 1985/11/6.

يظهر مما ذهب إليه عبد الفتاح العويسي، وكذلك من قابلناهم من قدماء الإخوان من أنه لم يكن للإخوان في فلسطين رئيس أو ما يعرف لدى الإخوان بالمراقب العام.³⁴ ولعل ذلك عكس رغبة قيادة الإخوان في مصر وسياستها في وضع فلسطين على رأس اهتماماتها، فجعلت نشاط إخوان فلسطين يتبعها بشكل مباشر؛ حيث أشرفت بنفسها على إنشاء الفروع في فلسطين، وكانت لها صلاحيات واسعة في تعيين سبعة أعضاء في "الهيئة المركزية للمكتب الإداري" المكوّنة من 17 عضواً، وهي أعلى سلطة مركزية للإخوان في فلسطين، بينما تقوم باقي فروع الإخوان بانتخاب الأعضاء العشرة الآخرين، بالإضافة إلى التشابه في الدستور واللوائح والشكل الإداري.³⁵

وقد دلت القرارات الصادرة عن مؤتمراتهم العامة في سنتي 1946 و1947 على قوتها ومتابعتها للأحداث السياسية، وعلى مضمونها الجهادي المتقدم.³⁶ ففي المؤتمر الكبير الذي عقده الإخوان المسلمون قبيل قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، في حيفا في 1947/10/27، اتخذت عدة قرارات، كان من أبرزها:

1. يعلن الإخوان المسلمون تصميمهم على الدفاع عن بلادهم بجميع الوسائل، واستعدادهم للتعاون مع جميع الهيئات الوطنية في هذا السبيل.
2. يعلن المؤتمر أن هيئة الإخوان المسلمين ستحمل نصيبها كاملاً من تكاليف النضال.³⁷

³⁴ مقابلات مع: كامل الشريف، عمّان، الأردن، 1985/10/28، ومحمد عبد الرحمن خليفة، عمّان، الأردن، 1985/10/30، ويوسف عميرة. ملاحظة: هذه المقابلات كان المؤلف قد أجراها عندما كان يحضر رسالة الماجستير في منصف ثمانينيات القرن العشرين.
محمد عبد الرحمن خليفة (أبو ماجد): وهو من مواليد السلط في الأردن، سنة 1919، المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن في الفترة 1953-1994، عضو مكتب إرشاد الإخوان المسلمين، توفي رحمه الله سنة 2006.
وانظر أيضاً:

El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestine Question*, pp. 160-164.

El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestine Question*, pp. 160-164.³⁵

³⁶ محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين، ص 447-450؛ وبيان الحوت، القيادات والمؤسسات، ص 503.

³⁷ بيان الحوت، القيادات والمؤسسات، ص 794.

ومما يلفت النظر، أنه عندما تشكلت اللجنة القومية في القدس في 1948/1/26 لتتولى أمور رعاية المدينة وحمايتها في أثناء حرب 1948، فإنها كانت تتكون من 14 عضواً. وقد كان من بين هؤلاء خمسة أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين في القدس، وهم: شريف صبوح، وأسعد الإمام، وطاهر بركات، وجميل وهبة، وعيد عابدين.³⁸ وهذا مؤشر قوي على ما تمتعت به جماعة الإخوان أو الشخصيات المنتمية لها من احترام ونفوذ وتأثير في القدس، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كثرة الاتجاهات والأحزاب والجمعيات والتنوع الطائفي الديني في القدس.

تاسعاً: دور الإخوان المسلمين في حرب فلسطين :1948-1947

شارك الإخوان المسلمون الفلسطينيون بنصيبهم كاملاً في الجهاد، عندما اندلعت حرب فلسطين 1947-1948، إلا أن حداثة إنشاء تنظيمهم في فلسطين وعدم نموه واستقراره بشكل مناسب وقوي، قد جعلت مشاركتهم محصورة ضمن قدراتهم المحدودة وإمكاناتهم المتواضعة. كما أن عظم المؤامرة الدولية على فلسطين في تلك الفترة، ودخول الجيوش العربية وتوليها القتال، وتجريدها لأبناء فلسطين من الأسلحة، قد أضعف الدور الذي يمكن أن يقوموا به.

ومع ذلك، فقد شكلت شُعب الإخوان في فلسطين قوات غير نظامية منذ بداية الحرب، عملت في أماكن استقرارها في الشمال والوسط، تحت القيادات العربية المحلية هناك (التي كانت تتبع جيش الإنقاذ أو جيش الجهاد المقدس)، وقد قامت بغارات ناجحة على مستعمرات اليهود وطرق مواصلاتهم، بالرغم من الضعف الشديد الذي كانت تعانيه، سواء في التسليح أم في التدريب.³⁹ ولذلك لا نجد ذكراً رسمياً لدور الإخوان في هذه المناطق بشكل عام. أما في المناطق الجنوبية،

³⁸ انظر أسماء أعضاء اللجنة القومية في القدس في: بيان الحوت، القيادات والمؤسسات، ص 906؛ وانظر: محسن محمد صالح، "أضواء وثائقية على جماعة الإخوان المسلمين في القدس سنة 1946"، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، المجلد 15، العدد 58، ربيع 2004، ص 67-83.

³⁹ كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 44.

وخصوصاً غزة وبئر السبع، فقد انضم العديد من إخوان فلسطين إلى قوات الإخوان (المصرية) الحرة بقيادة كامل الشريف، وشاركوا بقوة وفاعلية في معارك فلسطين هناك. ويذكر كامل الشريف أن قوات الإخوان المصريين الحرة كان معدل عددها 200 مجاهد في مناطق جنوب فلسطين، وأنه كان يشاركها الجهاد نحو 800 مجاهد آخر من أبناء فلسطين تحت قيادتها، حيث إن كثيراً منهم تأثروا بفكر الإخوان خلال الجهاد وأصبحوا منهم.⁴⁰ بل إن الحكومة المصرية في وقت لاحق قد أمرت بتسريح الإخوان من أبناء فلسطين الذين انضموا للإخوان المصريين، حيث كانت تنظر بعين الريبة لنشاط الإخوان، وتخشى أن يشكلوا جيشاً في فلسطين، يكون بعد ذلك خطراً على "سلامة الدولة"⁴¹!

وكانت أنشط شعب الإخوان مشاركة في الجهاد شعبة الإخوان المسلمين في يافا.⁴² وفي مدينة القدس، قاتل الإخوان من مختلف البلاد مثل سورية ومصر والأردن، وقد شارك إخوان فلسطين معهم أو مع قوات الجهاد المقدس.⁴³

أما الإخوان المسلمون المصريون،⁴⁴ فبالإضافة إلى دورهم الكبير في التعبئة الإعلامية وجمع التبرعات والأسلحة، فقد أبدوا استعدادهم الجاد قبل بدء المعارك بإرسال دفعة أولى من 10 آلاف مجاهد إلى فلسطين (وهي أكبر من بعض الجيوش العربية)، حيث أبرق بذلك الشيخ البنا إلى جامعة الدول العربية في 1947/10/9، ولكنها لم تستجب. وكما هو معروف، لم يتمكن إلا بضعة مئات من إخوان مصر من المشاركة في حرب 1948، بسبب الكثير من التعقيدات والعقبات التي وضعها النظام المصري في وجوههم.

قام الإخوان المسلمون المصريون بدور مشهود في حرب فلسطين، اعترف لهم به كل من كتب عن هذه الحرب، وبرز أثرهم في جنوب فلسطين في مناطق

⁴⁰ مقابلة مع كامل الشريف، 1985/10/28.

⁴¹ كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 43.

⁴² مقابلة مع يوسف عميرة.

⁴³ انظر مثلاً: عارف العارف، النكبة، ج 1، ص 178، و290.

⁴⁴ حول دور الإخوان المسلمين المصريين، انظر: كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين؛ ومحسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين، ص 468-475.

غزة ورفح وبئر السبع، حيث كانوا يهاجمون المستعمرات، ويقطعون مواصلات العصابات الصهيونية. ومن أبرز المعارك التي شاركوا فيها هناك معركة "التبة 86"، التي يذكر العسكريون أنها هي التي حفظت قطاع غزة عربياً، ومعركة كفار ديروم، واحتلال مستعمرة ياد مردخاي Yad Mordechai، وغيرها. كما أسهموا بدور مهم في تخفيف الحصار عن القوات المصرية المحاصرة في الفالوجة. وكان للإخوان المصريين مشاركتهم الفعالة في معارك القدس وبيت لحم والخليل. وكان من أبرز المعارك التي شاركوا فيها في تلك المناطق معركة رامات راحيل Ramat Rachel، واسترجاع مار الياس، وتدمير برج مستعمرة تلبوتوت Talpiot قرب بيت لحم، والدفاع عن "تبة اليمن" التي سُميت تبة الإخوان المسلمين، نظراً للبطولة التي أبدوها... وغيرها. وقد استشهد من إخوان مصر في معارك فلسطين نحو مئة، وجرح نحو ذلك، وأسر بعضهم.⁴⁵

وقام الإخوان السوريون⁴⁶ بقيادة الشيخ مصطفى السباعي بدور مشهود خصوصاً في معارك القدس، بما في ذلك معركة القسطل، ومعركة الحي القديم في القدس، ومعركة القطمون، ونسف الكنيس اليهودي الذي اتخذه اليهود مقراً حربياً وغيرها.

وقد تفاعل الإخوان الأردنيون،⁴⁷ مع حرب فلسطين، بشكل كبير، وشكّلوا سرية متطوعين تضم نحو 120 مجاهداً من الإخوان المسلمين، سميت باسم سرية أبي عبيدة، بقيادة الحاج عبد اللطيف أبو قورة المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن في تلك الفترة، وتمركزت في عين كارم وصور باهر، وقد خاضت العديد من المعارك. كما قاد أحمد محمد الخطيب مجموعة أخرى من إخوان إربد وأهلها المتطوعين شاركت في حرب فلسطين.

⁴⁵ للمزيد من التفاصيل، انظر: كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين.

⁴⁶ حول دور الإخوان المسلمين السوريين، انظر: مصطفى السباعي، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين (دم: دار النذير، 1986)؛ وعارف العارف، النكبة، ج 1، ص 326، و329، و435-437.

⁴⁷ حول دور الإخوان المسلمين الأردنيين، انظر: محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين، ص 476-477؛ وسليمان موسى، أيام لا تنسى: الأردن في حرب 1948 (الأردن: مطبعة المسلحة الأردنية، 1982)، ص 44-45.

وشارك الإخوان المسلمون في العراق⁴⁸ بقيادة الشيخ محمد محمود الصواف، فقاتل متطوعوها ضمن متطوعي العراق في فوجي "الحسين" و"القادسية" وسرية المغاوير وغيرها.

حل الإخوان واغتيال البنا:

قامت الحكومة المصرية بحظر جماعة الإخوان المسلمين في 1948/12/8، كما قامت مخابراتها باغتيال الشيخ حسن البنا في 1949/2/11، واعتقلت الآلاف من أعضاء الجماعة ومؤيديها، وكان مصير الكثير من مقاتلي الجماعة في حرب فلسطين الاعتقال والسجن. وثمة علاقة ظاهرة بين حل جماعة الإخوان واغتيال البنا وبين جهاد الإخوان في فلسطين. وربما لا تكون مشاركتهم في حرب فلسطين هي السبب الوحيد، لكن القدرة العالية على التعبئة والحشد التي أظهرها الإخوان، والبطولات والتضحيات التي برزت في المعارك والصدامات، بالإضافة إلى الاستعدادات الحقيقية لتحشيد عشرات الآلاف، وهو ما يفوق أعداد بعض الجيوش العربية...، كل ذلك أثار مخاوف الصهاينة والبريطانيين والعائلة الحاكمة في مصر...، خصوصاً إذا ما وجدت احتمالات لتوجيه غضب الشارع المصري ضد نظامه الحاكم بسبب تخاذله وضعف أدائه في فلسطين.

وبقدر ما أثار ذلك من سخط على الحكومة المصرية، بقدر ما أثار أيضاً من تعاطف مع الإخوان، الذين نظر إليهم الكثيرون كأبطال تم طعنهم في الظهر. ولقوا الكثير من التعاطف من العناصر الشريفة في الجيش المصري، التي قادت لاحقاً انقلاب 1952/7/23 وأسقطت النظام الملكي في مصر.

⁴⁸ حول دور الإخوان المسلمين العراقيين، انظر: محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين، ص 477-478؛ وبيان الحوت، القيادات والمؤسسات، ص 612-613.

خلاصة:

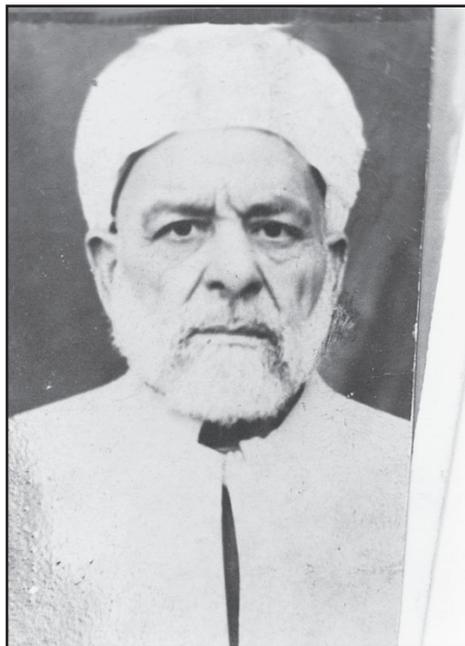
ألقت كارثة حرب فلسطين 1948 بظلالها الهائلة على الشعب الفلسطيني. ففي الوقت الذي نشأ فيه الكيان الصهيوني على معظم أرض فلسطين بدعم دولي، فإن النسيج الاجتماعي للشعب الفلسطيني قد تمزق، ووجد نحو ثلثا أبنائه أنفسهم في أوضاع لجوء بائسة؛ كما وجد الفلسطينيون أنفسهم تحت أنظمة حكم مختلفة؛ وانشغلوا بالتكيف مع الأوضاع الجديدة، وبترتيب أوضاعهم لحياة كريمة، والتطلع نحو العودة والتحرير.

توافقت جماعة الإخوان المسلمين مع الطبيعة الدينية والاجتماعية والثقافية للشعب الفلسطيني ومع تطلعاته السياسية؛ ولقيت قبولاً واسعاً، بالرغم من انتشارها المتأخر قبيل النكبة. وشارك الإخوان الفلسطينيون، إلى جانب الإخوان القادمين من البلدان العربية، في حرب فلسطين، بشكل فعال، ولكن ضمن إمكاناتهم المحدودة؛ واكتسبوا مصداقية واحتراماً كبيراً في الوسط الفلسطيني.

وفي الفترة 1948-1967 طغت شعارات قومية المعركة والوحدة طريق التحرير على الواقع العربي الرسمي، الذي أمسك بزمام القضية الفلسطينية، واتسعت شعبية التيارات اليسارية والقومية في الساحة الفلسطينية. ومع أواخر الخمسينيات، أخذت التوجهات الوطنية بالبروز؛ لتتم محاولة استيعابها سنة 1964 في البيئة الرسمية العربية من خلال منظمة التحرير الفلسطينية. أما التيار الإسلامي، وتيار الإخوان تحديداً، فقد حافظ على شعبيته وقوته حتى أواسط الخمسينيات، ثم ما لبث أن تراجع تحت وطأة "نزع الشرعية" والمطاردات الأمنية ومحاولات التهميش، ليخرج عن القدرة على التأثير في مسار الأحداث الفلسطينية، حتى نهاية الفترة التي نحن بصدد دراستها.



زيارة الشيخ حسن البنا لمدينة غزة في 19/3/1948.



الشيخ محمد فرغلي
عضو مكتب الإرشاد في جماعة
الإخوان المسلمين وقائد حملة
الإخوان في حرب فلسطين 1948.



مجموعة من متطوعي الإخوان المسلمين في حرب 1948، ويظهر في الصورة ظافر الشوا أمين سر شعبة الإخوان في غزة.¹

¹ الصورة من: مركز التاريخ والتوثيق الفلسطيني، الحاج ظافر خليل الشوا: مقابلات ووثائق غزة: مركز التاريخ والتوثيق الفلسطيني، (2011)، ص 62.



كشافة الإخوان المسلمين في فلسطين قبل حرب 1948،²

² الصورة من: المرجع نفسه، ص 491.

The Palestinian Muslim Brothers

The Palestinian Organization – Gaza Strip

1949–1967

هذا الكتاب

يركز هذا الكتاب على دراسة تجربة الإخوان المسلمين الفلسطينيين في قطاع غزة في الفترة 1949-1967؛ وعلى نشأة تنظيمهم الذي عُرف بـ"التنظيم الفلسطيني"، واتساعه ليشمل الفلسطينيين في البلاد العربية عدا الأردن.

والكتاب هو دراسة علمية خضعت لشروط البحث العلمي ومناهجه، وسعت إلى جمع المعلومات من مصادرها الأصلية قدر الإمكان؛ واستفادت بشكل كبير من التاريخ الشفوي. وقد جرى تحكيم فصول هذا الكتاب الأساسية وإجازتها علمياً.

يحتوي هذا الكتاب خمسة فصول، حيث يرسم الفصل الأول صورة عامة للوضع الفلسطيني، ولجماعة الإخوان المسلمين ودورها في حرب 1948. ويغطي الفصل الثاني جماعة الإخوان المسلمين في قطاع غزة في الفترة 1949-1956؛ أما الفصل الثالث فيغطي الفترة 1957-1967 ويسلط الضوء على إنشاء التنظيم الفلسطيني؛ بينما يركز الفصل الرابع على العمل العسكري الإخواني الفلسطيني في النصف الأول من الخمسينيات؛ أما الفصل الخامس فيدرس علاقة الإخوان الفلسطينيين بنشأة حركة فتح.

نرجو الله سبحانه أن يمثل هذا الكتاب إضافة نوعية للدراسات العلمية المتعلقة بفلسطين وقضيتها.

ISBN 978-9953-572-88-8



9 789953 572888



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

للفون: +961 1 803 644 | لتلفاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

